أثر القرآن الكريم في الحفاظ على اللغة العربية

أ.م.د. رياض حسين علي كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى
د. رعد طالب كريم كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى

المقدمـــــــــة :

حمداً لله الذي أنعم على الانسان وفضّله ، وشكراً على نعمه التي لا تحصى ، وصلاةً وسلاماً على رسوله الكريم محمد بن عبد الله الأمّي الأمين (ﷺ) أفصح من نطق بالضاد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، واصحابه الغّر المبجلين .. وبعد ..

فإذا كان الكتاب خير جليس للمرء فإن أفضل هذا الجليس هو كتاب الله تعالى ، وإذا كانت المعرفة مطلباً شريفاً يسعى اليه الانسان على هذه البسيطة فأن اشرفها واعظمها ما تعلق بكتاب الله العزيز (القرآن الكريم) .

أن القرآن الكريم له الأثر الكبير على اللغة العربية والعرب بـ كل عام ، حيث ان العرب قبل الأسلام كانوا يقطنون مكة المكرمة وهي المدينة المقدسة عندهم ، وأختير الرسول محمد (ﷺ) رسولاً لله سبحانه وتعالى وهو من (بني عبد مناف) وهي بطن من قبيلة قريش ، ولها من الاصالة والـ رف الـ يء الكثير .

أرسل الله سبحانه وتعالى هذا النبي الكريم لكي يأتيهم بكلامٍ من عند الله وهو القرآن الكريم ، ذلك المعجزة اللغوية التي تميّز بها الرسول الكريم محمد (ﷺ)عن معجزا ت الرسل والانبياء من قبله .

ظهر الاسلام ، ولا بد له من ان ينتـ ر من خلال القرآن الكريم ، هذا القرآن الذي له الأثر البالغ في نفوس العرب الذين رفضوا الاستماع اليه في بداية الأمر . أنهم يكرهون سماعه خوفاً من التأثير عليهم ، للحفاظ على عادا ت وتقاليد الجاهلية ، ومنعوا الكثير من المسلمين من قراءة القرآن لكي لا يؤثر على صبيانهم ونسائهم . ولذلك يقول (الوليد بن المغيرة)قولته المـ هورة في القرآن الكريم : " إن له لطلاوة وإن عليه لحلاوة ، وإن أسفله لمثمر ، وإن أعلاه لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه " (١)

أن الأسلوب الذي جاء به القرآن الكريم هو الاسلوب المثالي وهو الاسلوب الرسمي الراقي ، الذي يعتمد عليه العرب في الكلام والحديث والخطابة . ومثلما نعرف حيث كان العرب كثيري الجدل والنقاش والحوار ، وفي كل ذلك كان اعتمادهم على القرآن الكريم ، لأنه سّهل اليهم الكثير من الأدلة والبراهين في طرق الأقناع للآخرين حيث يقول سبحانه وتعالى : {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَ ِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا } (٢) (سورة مريم : ٩٧) .

أن اللغة العربية لها دور كبير في المجتمع الانساني الحديث في صورةٍ جليّة وظهر في الصناعة ، والحروب الحديثة والنظم السياسية ، فأصبحت الثورة اللغوية جزءاً من الثورة الصناعية ، لا يستطيع أي مجتمع ان يستغل موارده الاقتصادية بـ كل جيد إلا عن طريق تعميم القراءة والكتابة والذيانطلق عليه الوعي اللغوي الذي يـ مل القدرة على الكلام والاستماع بعد ان تطور ت وسائل الاتصال الكلامي على موجا ت الأثير ، ولذلك كانت للغة اهمية كبيرة في الحفاظ على كيا الـ عب وتماسكه (٣) .

نتناول في هذا البحث الدور الكبير والعظيم الذي قام به القرآن الكريم ، وهو أعجاز من المعجزا ت التي قدمها كتاب الله ، للغة العربية والعرب والمسلمين عن طريق الوّحي المنزّل على الرسول محمد (ﷺ)النبّي الأمّي ، ليكون ناقلاً لآيا ت الذكر الحكيم الى العرب والمسلمين ، ليقوموا بدورهم في الحفاظ على سلامة وفصاحة اللغة العربية عن طريق القرآن الكريم .

كما تناولنا أثر القراءا ت القرآنية في الحفاظ على لهجا ت العرب .

وختمنا البحث بخاتمة بيّنا فيها أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

أولاً : دور القرآن الكريم في الحفاظ على اللغة العربية :

أن دراسة اللغة العربية ومعرفة تاريخها ، يعتمد على ما يتركه ابناء اللغا ت من أثار ومخطوطا ت تبيّن الن ـأة والتطور لتلك اللغة . ولذلك لم يعثر العلماء الى كثير من الأدلة القديمة للغة ، بسبب الظروف البدوية التي عاشها العرب وكثرة هجرتهم ، حيث، تتبع منازل الكلأ والع ـب ولذا ي ـير احد الباحثين الى ان العرب : (قوم ملكوا الأرض ولم تملكهم ، فلم يؤثر عنهم في جاهليتهم الأولى من أنواع الدلالة الثابتة كالكتابة والآثار ونحوها ما يوضح أطوار لغتهم ، وعلى ذلك يتعين أن تكون لغتهم قد ملكت التاريخ ولم يملكها) (٤) .

أكد علماء المقارنة أن اللغة العربية تحتفظ بعناصر تعود الى السامية الأولى (٥) ويرجع العلماء ان اللغة العربية ذ ـأ ثْ في ارض الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للجنس السامي (٦) .

يقول علي عبد الواحد وافي : " ان الأكاديين والأراميين والتموديين والأنباط هم قبائل عربية هاجر ثْ من وسط الجزيرة الى اطرافها في فترا ت متباعدة تتراوح بين القرن السادس والثالث قبل الميلاد " (٧) .

ان التطور اللغوي او التغيير اللغوي ظاهرة من ظواهر اللغا ت الحيّة ، واللغة العربية إحدى هذه اللغا ت الحيّة ، التي أثر ثْ وتأثر ثْ ، وساهمتْ مساهمة عظيمة في مجال الحضارة الأنسانية ، لكنها ارتبطتْ بالقرآن الكريم وهو نص خالد ، الحفاظ عليه واجب ، لكي يحافظ على بقاء اللغة العربية (٨) .

أن كلمة (لغة) ليست عربية اصيلة بل انها تعريب لكلمة (Lagos) الاغريقية التي معناها كلمة رأو فكرة ويدعم ذلك ان هناك تـ ـابه كبير بين الكلمة العربية والكلمة الاغريقية ، واننا لا نجد في القرآن الكريم ذكراً لكلمة (لغة) بل نجد كلمة (لسان) في أربعة مواضع هي قوله تعالى :

١- { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ } (سورة ابراهيم : ٤) .

٢- { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَـ ـرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } (سورة النحل : ١٠٣) .

٣- { وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } (سورة الـ ـعراء : ١٩٢ – ١٩٤ – ١٩٥)

٤- { وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُـ ـرَى لِلْمُحْسِنِينَ } (سورة الاحقاف : ١٢) .

وكذلك ورد ثْ كلمة لغة في الـ ـعر الجاهلي " الادب العربي قبل عصر الترجمة عن الاغريقية " ، وذكرها في شعره صفي الدين الحلي حين قال (٩) .

بقدر لغا ت المرء يكثر نفعـــه وتلك له عند الـ دائد اعـوان
فبادر الى حفظ اللغا ت وفهمها فكل لسان في الحقيقة انسان

والكثير من اللغوين يعتبرون اللغة هي من عند الله ، ودليلهم على ذلك قوله تعالى : { وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا } (١٠) .

وفي النحو ان لكل كلام مفيد من الأسماء ، وقد تستغني الجملة عن كل من الحرف والفعل ، والأسماء التي تعلمها آدم هي أسماء جميع المخلوقا ت بجميع اللغا ت ، فكان آدم وأولاده يتكلمون بها إلى ان تفرقوا في الدنيا فتـ عبت اللغا ت (١١)

أن اللغة جاء تْ عن طريق المحاكاة وذلك بتسمية الاسماء من اصواتها ، ومارس الانسان تلك الافعال بأصواتها وهي أصوا ت طبيعية عامة . ويقول ابن جني : " ويذهب بعضهم الى ان اللغا ت كلها إنما هي من الاصوا ت المسموعة كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشجج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ، ثم ولد تْ اللغا ت عن ذلك فيما بعد " (١٢) .

أن الانسان يميل بالفطرة الى التعبير عن احساساته وإغراضه ، ومعنى ذلك ان اللغة اجتماعية تنمو في المجتمعا ت نتيجة لإتصال افراد المجتمع بعضهم ببعض وحاجاتهم الى التفاهم مثلها مثل غيرها من الظواهر الاجتماعية ، كانت بسيطة ثم سلكتْ مراحل متعددة في النمو والتطور الى ان وصلتْ الى الكمال (١٣)

ان في دراسة الأثر القرآني في اللغة نجد ان الباحثين حددوا ذلك الأثر بامور اربعة : (١٤) .

الأول :بقاء اللغة هذا الأمد الطويل ، فالتاريخ يحدثنا عن أمم كثيرة ، ساد تْ حتى ملكتْ ، وضعفت حتى أمحّتْ ، وقد كان لتلك الأمم لغا ت ساير ت حياتها السياسية جنباً الى جنب ، وكانت مرآة تنعكس عليها صور وجودها وألوان حياتها ، ‘فرقيتْ برقيّها ، وضعفتْ بضعفها ثم اصبحت يعرفها التاريخ كما يعرف الـ يء : عفت آثاره ودرست معالمه .

أما بقاء العربية الى اليوم والى ما شاء الله فهو راجع للدفاع عن القرآن ، فاللغة العربية كغيرها من لغا تـلبـ ر ، خاضعة للزّوال والفناء ، لكنّ القرآن الكريم هو الذي حفظها من الضياع .

الثاني :توّحد لهجاتها وزوّال تناكرها ، فلهجا ت العرب كثيرة متباينة منها الرديء المستكره تعزف عنه النفس ، وينقر منه الطبع ، ومنها الفصيح المقبول ، يحسن وقعه في السمع ويخف‘ نطقه على اللسان ، وانما كان هذا التعدد بطبيعة تفرقهم في المكان فبقي هذا التناكر في اللغة حتى مجيء الاسلام إذ نزل القرآن باللغة القرشية التي انتقتْ من لغا ت القبائل الوافدة إليها ما عذب لفظه وخفّ وقعه ، فكان لزاماً على كل مسلم دراسة هذه اللغة التي اصبحت لغة رسمية للأسلام كونها لغة القرآن .

الثالث : جعلها لسان الدولة الاسلامية ، فلم تعن امة من الأمم قبل الاسلام باللغة العربية ، تعالج آدائها ، ونتعرف تاريخها ، ولان اللغة العربية لم تكن لغة علوم ومعارف لم يكن فيها ما يحمل الأمم على معرفتها حتى يستفيدوا علماً ومعرفةً ، حتى كان الأسلام

وكانت الفتوحا ت الاسلامية التي دخلت معها اللغة فأصبحت لسان الدولة الاسلامية ، بل كانت حديث المـ رق والمغرب .

رابعاً : جعلها لغة تعليمية ، كان العرب يستندون الى السليقة والفطرة في كلامهم ، وخاصة في نفوس العرب من الجزيرة ، فلما جاء القرآن واخرجهم الى هذا الملك العظيم واختلطوا بالأعاجم وعاشوا عيـ ة مدنية ضعفت هذه الملكة ثم فسد تْ وصار تْ اللغة ،تكسبْ بالتعلم والتعليم .

كان الاسلام ولا يزال يعتبر القرآن الكريم دستور الحياة والناس ، حيث الفصاحة العالية والبلاغة العظيمة ، تحدى كل من سوّلتْ له نفسه في حمل الضغينة على الدين الاسلامي وكتابة الكريم (القرآن العظيم) . فتحّداهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله على لسان رسول كريم ونبّي أمّي لا يقرأ ولا يكتبْ ، هذا التحدي جعلهم يقفون عاجزين حاملاً بين سطوره الكمال والاعجاز حيث يقول سبحانه وتعالى { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } (١٥)(سورة الـ عراء : ١٩٣-١٩٤-١٩٥)

سيظل القرآن الكريم يرفد اللغة العربية في فصاحته وبلاغته لدرجة عظيمة ، حيث كان العرب قبل الاسلام ، يتبارون بالعربية الفصحى ، الـ عراء والادباء كل يدلي بدلوه شعراً او نثراً او الحكم والامثال .

وهكذا أن أعجاز القرآن الكريم من وجوه متعددة من حيث الفصاحة والبلاغة والنظم والتراكيب والاساليب ، ويحتوي على الأحكام الجليّلة ، وقد تحدى فصحاء العرب ببلاغة الفاظه ، وتحداهم بما احتوى عليه من معانٍ صحيحة كاملة ، وكان تحدياً عظيماً بأعتراف الكثير من العلماء .

أصبح العرب فيما بعد يقعون في أخطاء كثيرة أثناء القراءة وخاصة عند قراءة القرآن الكريم ، وسبب ذلك يعود الى ان المجتمع الأسلامي بدأ في الأستقرار والتوسع والتغلغل ، كانت الفتوحا ت الأسلامية ، والتي تجعل اختلاط العرب بغيرهم من الأمم اختلاطاً غير محدود ، الأمر الذي أثر على اللغة حتماً (١٦) .

كانت للعرب عادة قديمة ، وهي ارسال ابنائهم إلى البادية ، ليكسبوا صفا ت البادية في الفصاحة والـ جاعة والفروسية والكرم ، وهي صفا ت عربية أصيلة ، والنبي (ﷺ) نشأ في بادية بني سعد عند مرضعته حليمة السعدية . ولذلك نجد أن الخلفاء وولاة الأمر إذ كانوا يرسلون أبنائهم الى البادية ، ونجد أن عبد الملك بن مروان قد ندم كثيراً عندما لم يرسل ابنه الوليد الى البادية حيث قال : " أضرّ بنا حبنا للوليد فلم نرسله، إلى البادية " (١٧)

أعتمد العرب على الفصاحة في لغتهم العربية على البادية ، لكي يتجنبوا الوقوع في الأخطاء واللحن ، وكان من الأفضل لهم الاعتماد على القرآن الكريم وفهمه ودراسة علومه الدينية والتـ ريعية والفقهية . لأن هناك في البادية مجموعة من القبائل تختلف لهجاتهم من قبيلة الى أخرى .

ويذهب أحد الباحثين في اللغة العربية الى القول : " أن جامعي اللغة العربية الأوائل قد إرتكبوا خطأً منهجياً حين كانوا يخرجون الى البادية لجمع اللغة فيخلطون بين ما يأخذون عن قبيلة وما يأخذون عن قبيلة اخرى ، او يخلطون بين ما يقوله أهل البادية ، ثم يستخرجون من هذا الخليط قواعد عامة " (١٨)

لم تعد اللغة العربية في ظلّ الاسلام ، بما جاء ثْ به من تـ ـريعا ت سماوية ، وبما جاء به القرآن الكريم من نصوصٍ خالدة ، (لم تعد هذه اللغة)هي لغة لناسٍ يعيـ ـون على الصيد والغزو ، وانما اصبحت لغة التخاطب بين الناس في أمور دينهم ، واصبح القرآن الكريم بما له من فصاحة في الألفاظ وعمق في المعاني ، الطريق الصحيح الذي يسير عليه العرب والمسلمين (١٩) .

أذن بسبب اختلاط العرب بالأمم المجاورة وتغلغلهم في الأمصار التي فتحوها ، فكان العرب يتخاطبون باللغة العربية فيما بينهم ، ويخاطبون بها غيرهم من الأمم ، وذلك بمتابعة لغتهم في كتابهم الكريم (القرآن) الذي يعتبرونه طريق الصواب في حياتهم اليومية والاجتماعية للتخاطب والتفاهم مع بعضهم البعض الأخر ومع غيرهم .

إن الدولة العربية الاسلامية الجديدة والفتية ، حيث كانت بعض دواوينها بغير العربية ، فدواوين الـ ـام كانت بالرومية ودوواين العراق كانت بالفارسية ودواوين مصر كانت بالقبطية ، وهذا أمر يجب عدم السكو ت عنه ، لأنه يؤثر على هيبة العرب وضعف في لغتهم العربية الفصحى تلك هي لغة القرآن الكريم . اذن لابد ان تبدأ عملية تعريب هذه الدواوين ، فتم المباشرة بتعريبها في عهد الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان) (٢٠)

ان العرب يفتخرون بلغتهم ، بما فيها من فصاحةٍ وبلاغةٍ وألفاظ ونظم وتراكيب . ويفتخر العربي بعـ ـيرته ويفاخر بها على القبائل الاخرى كونها فصيحة بليغة ، وهذه الفصاحة والبلاغة مأخوذة من نصوص القرآن الكريم ، ولذلك كثر ثْ الملاحظا ت اللغوية من خلال احتكاك الناس في الأسواق والمنتديا ت ، وميّزوا الخروج عن المألوف في لغة العرب والتي أكدها القرآن الكريم ، فأنتبهوا الى الأخطاء الـ ـائعة آنذاك وتوجهوا الى التخلص منها وإجتنابها ، فصار على المتحدث بهذه اللغة ان يستخدمها بطريقة مناسبة لما جاء به هذا النص المقدس الخالد (القرآن الكريم) (٢١)

أن كلام القرآن الكريم يختلف عن كلام رسول الله (ﷺ) وكلام رسول الله (ﷺ) الوارد في أحاديثه الـ ـريفة ، لا يستطيع أحد من الصحابة ولا من جاء بعدهم ان يتحدث بمثل أسلوب الرسول (ﷺ) من حيث الفصاحة والبلاغة ، والذي يؤكد ذلك حديث الرسول (ﷺ) حيث قال : مّا من الانبياء نبّي إلا قد أعطى من الآيا ت ما مثله آمن عليه البـ ـر ، وأنما كان الذي أتيت، وحيّاً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " أخرجه البخاري ومسلم .

وهكذا كان تحدي القرآن الكريم واعجازه البلاغي في كثير من المواضع التي أذهلت الأعداء ومنها :

- قوله سبحانه وتعالى : { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (٢٢) (سورة الأسراء : ٨٨)
- وقوله سبحانه وتعالى : { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } (٢٣) (سورة : البقرة : ٢٣ – ٢٤)
- وقوله سبحانه وتعالى : أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَـ ـْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (٢٤) (سورة هود : ١٣ – ١٤)

- وقوله سبحانه وتعالى : {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (٢٥) (سورة الأنفال : ٣١)

وخلاصة القول أن الأعجاز القرآني يهتم أهتماماً كبيراً باللغة العربية ، وهناك الكثير من البحوث العلمية تؤيد ذلك وتبيّن دور القرآن في رفد اللغة العربية بالبلاغة والفصاحة ، ودقة الألفاظ والمعاني والنظم والتراكيب لتزداد أصالتها وعنفوانها بين لغات العالم أجمع . وأن القرآن الكريم يعزز ديمومة وأستمرارية اللغة العربية في الحياة اليومية كلغةٍ عالمية ، وهي محفوظة بوجود وبقاء كتاب الله سبحانه وتعالى .

ثانياً أثر القراءا ت القرآنية في الحفاظ على لهجا ت العرب :

القراءا ت في اللغة جمع قراءة وهي مصدر قرأ ، يقال : قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً . وقرأ تالـ يء قرآناً : جمعته، وضممت، بعضه، الى بعض (٢٦)

اما في الأصطلاح فتعرف القراءا ت بأنها : علم ،يعرف منه أتفاق الناقلين لكتاب الله ، وأختلافهم اللغة ، والاعراب ، والحذف ، والاثبا ت ، والفصل ، والوصل ، من حيث النقل ، أو يقال :علم بكيفية اداء كلما ت القرآن واختلافها بعزو الناقلة (٢٧) .

واللهجةهي مجموعة من المصنفا ت اللغوية ، تنتمي الى بيئة خاصة ، ويـ ترك في هذه الصفا ت جميع افراد هذه البيئة (٢٨)

والعلاقة بين اللغة واللهجة كما يقول ابراهيم انيس : " هي العلاقة بين العام والخاص .وبيئة اللهجة جزء من بيئة اوسع واشمل تضم عدة لهجا ت ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تـ ترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئا ت بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجا ت " (٢٩)

أن الباحث في القراءا ت القرآنية وفي لهجا ت العرب يجد بينهما ارتباطاً وثيقاً ، فقد عملت الاولى على الحفاظ على الثانية ، وعلى وجه العموم يمكن القول ان اهم مصادر دراسة اللهجا ت العربية تتلخص في (القراءا ت القرآنية – المعاجم – كتب النوادر – كتب الأمثال – كتب النحو واللغة) (٣٠)

ولا شكان القراءا ت القرآنية اهم هذه المصادر على الأطلاق ، واهميتها مستمدة من المنهج الذي اتبعه اصحاب القراءا ت ، وهو منهج يمتاز بدقته عن المناهج التي اعتمد ت في سائر المصادر ، واشتراطه التلقي والعرض في علية النقل ، ذلك ان اصحاب القراءا ت لم يكتفوا بالسماع من لفظ الـ يخ فقط في التحمل ، وان اكتفوا به في الحديث ، قالوا : لأن المقصود هنا كيفية الاداء ، وليس كل من سمع من لفظ الـ يخ يقدر على الاداء ، أي فلا بد من قراءة الطالب على الـ يخ (٣١)

،يضاف الى ذلك ما أشتهر به أصحاب القراءا ت كأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي ، وابن كثير ، وحمزة بن حبيب ، وعاصم ، من الفصاحة وعّلو الكعب في علوم العربية . فقد كان ابو عمرو بن العلاء إمام مدرسة البصرة والكسائي إمام مدرسة الكوفة (٣٢)

وعودةً الى القراءا ت القرآنية ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله (ﷺ) قال : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل استزيده ويزيدني ، حتى انتهى الى سبعة احرف " (٣٣)

ولسنا في هذا الموضوع في ذكر الخلاف في معنى الاحرف السبعة هل المراد به حقيقة العدد أم الكثرة ، ولكن المهم في ذلك ان هناكقراءا ت متعددة للقرآن الكريم جعلها الله رحمة وسعة للناس لمن يصعب عليه النطق بلغة قريش اللغة الأم . فذهب الكثير من العلماء ان المراد بالأحرف السبعة هي لغا ت ولهجا ت العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي لغة قريش ، وهذيل ، وثقيف ، وهوازن ، وكنانة ، وتميم ، واليمن . (٣٤)

وهناك من أضاف وأبدل لهجا ت اخرى من لهجا ت العرب . وهذا وقد وضع العلماء ثلاثة ضوابط لقبول القراءة وهي : (٣٥)

أولاً : السند :

أي ان تكون ثابتة مع صحة سندها عن الرسول (ﷺ) .

ثانياً : الرسم :

أي موافقة رسم احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ً .

ثالثاً : العربية :

أي موافقة العربية ولو بوجه ، سواء كان ذلك الوجه فصيحاً أم أفصح ، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه .

فكل قراءة جمعت هذه الضوابط فهي القراءة الصحيحة اما اذا احتمل شرط منها فهي القراءة الـ اذة .فما هو الصالح من القراءا ت لدراسة اللهجا ت من خلالها ؟ والجواب : ان القراءة المـ تملة على الضوابط الثلاثة المـ ار اليها هي الاساس الاول في دراسة اللغة العربية ولهجاتها .

كذلك فأن من القراءة الآحادية ما صح سنده ووافق العربية ولكنه خالف رسم المصحف ، فهذا رغم عدم تجويز علماء القراءة به لكنه صالح لواسة اللهجا ت ايضاً لبعده عن قضايا التـ ريع فهو أقوى حجة من المعاجم أو كتب الادب الاخرى .

ومثل قراءة الآحاد القراءا ت الـ اذة فهي صالحة لدراسة اللهجا ت العربية ما دامت قد استوفت ضابطين اثنين من الضوابط الثلاثة احداهما هو الاصل الذي لا غنى عنه وهو صحة السند (٣٦)

ومن تلك الظواهر تسكين التخفيف وهو تسكين الكلمة الثلاثية سواء كانت بصيغة الافراد ام بصيغة الجمع ، وهو تسكين صرفي يظهر في لهجا ت بعض القبائل التي تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة ، ومنها قبيلة تميم التي تؤثر تسكين وسط الكلمة المتحرك ، وقبيلة بكر بن وائل المجاورة لتميم ، وعموم قبيلة ربيعة (٣٧)

ففي قوله تعالى : {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ } (٣٨) (البقرة : ١٧) بضم (ظلما ت) وقرأ الحسن البصري وتركهم في ظلما ت بسكون اللام ، وكذلك قرأ بها ابو السّمال ، وهي لهجة تميمية (٣٩) .

ويفسر ابن جني هذا المسلك الصوتي بأن من يستثقل الضمتين يعدل الى الفتح في الثانية فيقول (ظلما ت) أو الى السكون فيقول (ظلمْا ت) . وكل ذلك عنده جائز حسن (٤٠) .

ومن أختلاف القراءا ت الاختلاف في اصوا ت اللين القصيرة ، وأصوا ت اللين القصيرة في اللغة العربية ثلاثة هي الفتحة ، والكسرة ، والضمة .وأخف هذه الأصوا ت هي الفتحة ، تليها الكسرة ، فالضمة التي هي أثقلها (٤١) .

والدرس للقراءا ت القرآنية يجد انها تصور اختلاف اللهجا ت العربية في استعمال هذه الأصوا ت . وهو اختلاف قد يكون في الفتح والكسر ، او في الفتح والضم ، او في الكسر والضم ، او في كسر حرف المضارعة وعدمه . ومن أمثلة الأول قوله سبحانه وتعالى : { فِيهِ آيَا تٌ بَيِّنَا تٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } (٤٢) (سورة آل عمران : ٩٧) . قرأ حمزة والكسائي ، وعاصم بكسر الحاء في (حج) ، وقرأ الباقون بفتحها (٤٣) .

ومنه قوله سبحانه وتعالى : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } (٤٤) (سورة الأحزاب : ٣٣) . قرأ عاصم ونافع بفتح المضاف في (وقرن) وقرأ الباقون بالكسرة (٤٥) .

ومن الملاحظ عليه ان أهل الحجاز كانوا يميلون الى الفتح في حين مالتْ قيس ، وتحيم ، وأسد الى الكسر .وليس بالضرورة ان تكون قراءا ت القراء وفق بيئاتهم (٤٦) .

ومن هذا يظهر جليّاً أثر القراءا ت القرآنية في توثيق اللهجا ت العربية والحفاظ عليها لتكون المصدر الاساس فيها .

الخاتمـــــــة :

مما تقدم من دراسة تبيّن لنا مجموعة من النتائج أهمها :

١-أثر القرآن الكريم على اللغة العربية بـ كل واضح وبارز في نصوصه ، وذلك في الفصاحة والبلاغة والنظم والتراكيب والاساليب .

٢- سهّل القرآن الكريم الكثير من الأدلة والبراهين للعرب في طرق أقناعهم للآخرين عن طريق الجدّل والنقاش والحوّار .

٣- تمييزّ الرسول الكريم (ﷺ) بالمعجزة اللغوية في القرآن الكريم عن غيره من الرسل والانبياء .

٤- أن اللغة العربية محفوظة بوجود وبقاء كتاب الله سبحانه وتعالى (القرآن الكريم) .

٥- هناك قراءا ت متعددة للقرأن الكريم ، منها الصحيح المكتمل شروط القراءة الصحيحة ، ومنها الـ اذ الذي أختل فيه شرط من شروط الصحة .

٦- للقراءا ت القرآنية الأثر البارز في الحفاظ على لهجا ت العرب وهي المصدر الأول والأساس في دوامها وتوثيقها .

نسأل الله تعالى ان يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الهوامـــــــش :

١- النحو العربي ، العبيدي : ٢٥ – ٢٦ .
٢- سورة مريم : ١٩ .
٣- اللغة بين القومية والعالمية ، د. ابراهيم انيس : ١٩ .
٤- تاريخ آداب العرب ، الرافعي : ١ / ٨٧ .
٥- تاريخ اللغا ت السامية ، ولفنسون : ١٦٤ .
٦- ،ينظر المصدر نفسه : ٥ – ٦ .
٧- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي : ٨ .
٨- ،ينظر النحو العربي ، العبيدي : ٢٧ .
٩- قبس من وحي اللغة ، د. شعبان عبد العظيم : ٢٣ .
١٠- ينظر الخصائص ، ابن جني : ١ / ٣٩ .
١١- ينظر قبس من وحي اللغة : ٢٥ .
١٢-الخصائص : ١ / ٤٤ .
١٣- ينظر قبس من وحي اللغة : ١٧ .
١٤- ينظر اثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ٢٨ – ٥٤ ، وملامح من تاريخ اللغة العربية : ٦٣ – ٧٥ .
١٥-سورة الـ عراء : ١٩٣ – ١٩٥ .
١٦- ينظر النحو العربي : ٢٧ .
١٧- ينظر البيان والتبين ، الجاحظ : ٣١٧ – ٣١٨ .
١٨- العربية ولهجاتها ، د. عبد الرحمن ايوب : ٢٣ .
١٩- النحو العربي : ٢٩ – ٣٠ .
٢٠- ينظر المصدر نفسه : ٣٠ .
٢١- ينظر المصدر نفسه : ٣٢ – ٣٣ .
٢٢- سورة الاسراء : ٨٨ .
٢٣-سورة البقرة : ٢٣ – ٢٤ .
٢٤- سورة هود : ١٣ – ١٤ .
٢٥- سورة الأنفال : ٣١ .
٢٦- ينظر لسان العرب : ١ / ١٢٨ .
٢٧-ينظر لطائف الأشارا ت : ١ / ١٧٠ .
٢٨- ينظر فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٤ .
٢٩-في اللهجا ت العربية : ١٦ .
٣٠- ينظر فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٥٤ – ١٥٥ .
٣١ينظر اتحاف فضلاء البـ ر بالقراءا ت الإبعة عـ ر : ٣ .
٣٢- ينظر فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٥٥ .
٣٣- صحيح البخاري : ٣ / ١١٧٧ ، ومسلم : ١ / ٥١٦ .
٣٤- فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٦٤ .
٣٥- فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٦٨ .
٣٦- فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٧١ – ١٧٢ .
٣٧-ينظر في اللهجا ت العربية : ١٦١ ، ولهجة تميم : ٤١ ، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري : ٣٦ .
٣٨- سورة البقرة : ١٧ .

٣٩- ينظر المحتسب : ١ / ٥٦ ، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري : ٣٧ .
٤٠- ينظر المحتسب : ١ / ٥٦ ، والخصائص : ٢ / ٣٣٨ ، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري : ٣٧ .
٤١- ينظر فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٨١ .
٤٢- سورة آل عمران : ٩٧ .
٤٣- ينظر فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٨٢ .
٤٤-سورة الأحزاب : ٣٣ .
٤٥- ينظر فقه اللغة مناهله ومسائله : ١٨٢ .
٤٦-ينظر المصدر نفسه : ١٨٢ .

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم
١تحاف فضلاء البـ ـر في القراءا ت الاربعة عـ ـر ، الدمياطي ، القاهرة ، ١٣١٧هـ.
٢- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، احمد حسن الباقوزي ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٣م .
٣- البيان والتبيّن ، ابو عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي ، مكتبة الطلاب ، بيرو ت ، ١٩٦٨م .
٤- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، ط٤، بيرو ت ، ١٩٧٤م .
٥-تاريخ اللغا ت السامية ، ولفتسون ، دار القلم ، بيرو ت ، ١٩٨٠م .
٦- الخصائص ، ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط٢، بيرو ت ، لبنان ، (د . ت) .
٧- صحيح البخاري .
٨- صحيح مسلم .
٩- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ، د. صاحب ابو جناح ، ط١مذ ـورا ت مركز دراسا ت الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٥م .
١٠- العربية ولهجاتها ، د. عبد الرحمن ايوب ، طبعة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
١١- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ط٥ ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
١٢- فقه اللغة مناهله ومسائله ، د. محمد اسعد النادري ،المكتبة العصرية ، صيدا ، بيرو ت ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
١٣- في اللهجا ت العربية ، ابراهيم انيس ، ط٣ ، الانجلو المصرية – القاهرة ، ١٩٦٥م .
١٤- قبس من وحي اللغة ، د. شعبان عبد العظيم عبد الرحمن ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ١٩٨١م .
١٥- لسان العرب ، ابن منظور ، ط١ ، دار صادر ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
١٦- لطائفلاشارا ت لفنون القراءا ت ، القسطلاني ، تحقيق عامر السيد وعبد الصبور شاهين ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، مطابع الاهرام ، مصر ، ١٣٩٢هـ .
١٧- اللغة بين القومية والعالمية . د. ابراهيم انيس ، دار المعارف بمصر ، (د . ت) .
١٨- لهجة تميم ، غالب المطلبي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٨م .
١٩- المحتسب ، ابن جني ، تحقيق علي النجدي ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
٢٠- ملامح من تاريخ اللغة العربية ، داحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد للنـ ـر ، العراق ، ١٩٨١م .
٢١- النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل ، شعبان عوض محمد لبيدي ، مذ ـورا ت جامعة قار يونس ، الجماهيرية العربية الليبية ، ١٩٨٩م .